المؤثرات الحضارية للجاليات الأجنبية على المجتمع المغولي في القرنين السادس والسابع الهجريين/ والقرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين

مستل من رسالة ماجستير بعنوان:

الجاليات الأجنبية وتأثيرها في المجتمع المغولي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين

إعداد الدراسة

أسماء فارس فرحات منصور

طالبة ماجستير بقسم التاريخ الإسلامي

كلية دار العلوم - جامعة الفيوم

تحت إشراف

أ.د. صبري عبد اللطيف سليم

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية دار العلوم- جامعة الفيوم

(مشرفًا رئيسًا)

أ.د. صلاح الدين محمد نوار

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية دار العلوم- جامعة الفيوم

(مشرفًا مشاركًا)

المستخلص:

تتناول هذه الورقة البحثية المؤثرات الحضارية للجاليات الأجنبية على المجتمع المغولي في القرنين السادس والسابع الهجريين/ والقرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين بوصفها إحدى العناصر الأساسية للجاليات الأجنبية المؤثرة في المجتمع المغولي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. وسوف تشتمل هذه الورقة البحثية على مؤثرات الجاليات الأجنبية على الزراعة، ومؤثرات الجاليات الأجنبية على الصناعات، وأهم التأثيرات للجاليات الأجنبية في التجارة، والتأثيرات الاجتماعية للجاليات الأجنبية على المجتمع المغولي،الذي كان في بدايته يقوم على الطبقية، فقسمت القبيلة إلى ثلاث طبقات، هي: طبقة النبلاء، وطبقة الأحرار، وطبقة العامة أو الأرقاء، وتأثيرات الجاليات المغولية على اللغة.

كلمات افتتاحية:

الجاليات الأجنبية – مؤثرات الجاليات – المجتمع المغولي – الصناع – الحرافيون – المستشارون – الزراعة.

Abstract:

This research paper deals with the cultural influences of foreign communities on Mongolian society in the sixth and seventh centuries AH/and the second and thirteenth centuries AD, as one of the basic elements of the foreign communities influencing Mongolian society during the sixth and seventh centuries AH, twelfth and thirteenth centuries AD. This research paper will include

the influences of foreign communities on agriculture, the influences of foreign communities on industries, the most important influences of foreign communities on trade, and the social influences of foreign communities on Mongol society, which at its beginning was based on class, so the tribe was divided into three classes: The nobility, the free class, the common or slave class, and the influences of the Mongol communities on the language.□

Opening words:□

Foreign communities - diaspora influences - Mongol society - industrialists - craftsmen - advisors – agriculture. □

مقدمة:

من الطبيعي في المجتمعات أن تتأثر بالغزو وأن ينتقل إليها ثقافة الغزاة، لذا سوف يتم التحدث عن التأثيرات المختلفة للجاليات الأجنبية في المجتمعات المغولية ومدنها وعواصمها، حيث كان هناك تأثيرات مختلفة نتيجة وجود العديد من الجنسيات والثقافات والديانات، والتي عولجت تاريخيًا على أنها نتيجة اختلاط الثقافات المتنوعة دون ذكر أن للجاليات أهمية كبيرة فى هذه التأثيرات، وهذه ما تحاول الباحثة أن تلقي الضوء عليه من خلال هذا البحث.

مؤثرات الجاليات الأجنبية على الزراعة:

اقتصر عمل جنود جنگيزخان في البداية في الصين الشمالية على النهب والسلب والتخريب وأهمل بعض المغول الاهتمام بالإنتاج الزراعي على أودية النهر الأصفر(١)، حين زحفت قواتهم إلى الجنوب، وكان كثير منهم قد استحوذ على مساحات شاسعة من الأراضي المزروعة(٢)، وتم تحويلها حتى اقترح بعض قادة المغول إخلاء المساحات الشاسعة من أبناء قومية هان؛ ترعى الماشية بحجة أنهم غير صالحين للإمبراطورية، وقد وافق جنگيزخان على النصيحة، مما أدى إلى إثارة الفتنة والفوضى، وهنا قام الوزير يوليوجوتساي(٣)" قائلاً للغازي المغولي، أنه يستطيع بدلاً من إتلاف المزروعات، وذبح الفلاحين أن يحوذ على فائدة أعظم لو سمح لأبناء قومية(٤) هان أن يزرعوا، ويدفعوا الضرائب، والحصول على الكثير والمنسوجات الحريرية والغلال، فذلك مفيد لنبلاء المغول، ونصحهم بترك التبوير، وما يضر بالإنتاج الزراعي؛ إذ إنه مصدر قوة المغول، فكسب "يولوجوتساي" المعركة، وعهد إليه جنكيزخان أن يرتب لهذه الإصلاحات، ومقدار ما يتحصل عليه، وأقرت في ذلك الوقت الميزانية لكن على أسس نظامية، فقد قامت على نوعين من الواردات عشر نقدي يدفعه فلاحو المناطق المتحضرة من أصل موسمهم، واقتطاع رأس من كل مائة رأس ماشية فرضت على الرعاة، وفي سبيل الجباية بسرعة أحدث جنكيزخان

هيئة من المفوضين الإمبراطوريين، واستطاع البريد الإمبراطوري الذي أُعيد تطـــويره في عهد أوكتاي قاآن[٥] (٦٢٦هـ:ـــ ٦٣٩هـ- ١٢٢٩م: ١٢٤١م)، وأطلقوا عليهـــا اسم تايان ماه، وهذا يؤكد تأثير الأسرى في إعمار مدن آسيا الوسطى التي تـــدعى تركستان الصينية؛ وذلك لأنها تحتوي على بعض الواحات الخصبة، وهذه الواحـــات هي واحة تورفان، وقره شهر، وكوشا، وأقسو في الشمال، ثم واحة شرشين، وواحة كيريا، وخوتان، ويركند في الجنوب، وكلها تحيط بشكل دائري بالمنطقة، وتؤلـــف قوسين يلتقيان في الغرب عند واحة كاشغر، وتؤلف هذه الواحات مركزًا زراعيًـــا ممتازًا تكثر به الحدائق، والحقول، وأشجار الفواكه[٦].

أما إبان عهد خلفاء جنكيز خان وخاصة قوبيلاي قـــاآن (٦٥٨ هـ/١٢٦٠م) التي عمل على الأخذ بالنظم الصينية المتطورة، والتي كانت تنظم كافة جوانب الاقتصاد المختلفة، وظهرت إدارات خاصة مرتبطة مباشرة بإدارة الديوان الأعظم (الشينك) وقـــد أُنيطت بكل واحدة منها مسؤولية العمل على إنعاش وازدهار إحدى جوانب الاقتصـــاد المختلفة. وكان في مقدمة ذلك التأثر أن ظهر اهتمام المغول الشديد بقطـــاع الإنتـــاج الزراعي، والذي كان يُمثل محور النشاط الاقتصادي للغالبية العظمى من إقليم الصـــين[٧]، بعد أن كان هذا الجانب في السابق عند المغول لا يعني أكثر من نشاط يوفر الموارد المالية من الضرائب المجباة من المزارعين إلى خزائن الدولة، وفي خضم هذا الاهتمام فقد وظف المغول موروث وخبرة الجاليات الصينية في هذا المجال والمتمثل بوجود الأنهار العظيمة في بلادهم والأراضي الخصبة والأيدي العاملة، وكانت أولى علامات هذا الأوامر القاآنيـــة التي صدرت في سنة ٦٦٣هـــ/١٢٦٤م والتي تمنع الأمراء والخان المغول منعًا باتًا مـــــن التجاوز على الأراضي الزراعية[٨].

وكدليل ملموس على هذا التحول الجذري خص الاهتمام بالزراعـــة فـــإن الأمر لم يقف عند حدود المحافظة على الأراضي الزراعية وعدم التجاوز عليها، وإنما

اتخذت الخطوات اللازمة لزيادة الإنتاج الزراعي، ومن بينها إنشاء إدارة خاصة[٩] مسؤولة عن كل شؤون الزراعة أطلق عليها (جينغ سوو)[١٠] بلا أدنى شك تسمية صينية الأصل، وكانت من مهامها الرئيسة تطوير النشاط الزراعي والاهتمام بالثروة الحيوانية، وقد أسس فرع ضمن هذه الهيئة كان مسؤولاً بشكل خاص عن العناية بتربية دودة القز[١١] التي كانت تحظى بأهمية خاصة للاستفادة منها في التوسع في إنتاج الحرير الذي كان يشكل أحد أهم السلع التجارية وموردًا مهمًا من موارد بلاد الصين منذ القدم، ومن الإجراءات الأخرى التي اتخذت لتطوير الزراعة هو تخفيف الضرائب عن كاهل الفلاحين، ومراعاة ظروفهم في بعض المواسم السيئة التي يتعرض فيها الإنتاج للضرر على غرار ما كان يفعل أباطرة الصين القدامي، فضلاً عن اتباع سياسة شراء المحاصيل من المزارعين بأسعار مجزية لأجل تخزينها في مخازن خاصة، واستخدامها وقت الحاجة إليها في حالات حدوث الكوارث الطبيعية أو تزويد الجيش بالمؤن في أثناء الحروب.

مؤثرات للجاليات الأجنبية على الصناعات:

في القرن الثاني عشر الميلادي، كانت الصناعة تلعب دورًا مهمًا في حياة الأفراد والاقتصاد في جميع أنحاء الأقاليم آنذاك. وفي هذا القرن، كانت الصناعة تعتمد بشكل رئيسي على العمل اليدوي والحرفي، وتشمل صناعات مثل النسيج والصناعات الغذائية والمعادن والصناعات الزراعية وغيرها؛ حيث كانت توفر السلع والخدمات التي تحتاجها المجتمعات المحلية، وتُساعد في توفير فرص العمل وتحسين المستوى المعيشي.

كانت الصناعة لدى المغول أولية ساذجة لا تخرج عن صنع اللباد والسيور والحبال والسروج والجعاب[١٢] وكلها صناعات عرفها الإنسان الأول في مقتبل عهد البشرية، فعندما غزى المغول البلاد المجاورة أدهشهم ما فيها من مختلف ألوان الفنون والصناعة والزخرفة، ولكن بعد الانتهاء من الغزو المغولي على بلاد الشرق الأدنى

والعالم الإسلامي أصبح للمغول تطلعات صناعية أخرى، وذلك بعد أن تيقنوا أن للصناعة دورًا كبيرًا في ازدهار الحياة الاقتصادية داخل الإمبراطورية المغولية، فقد أبدى الخانات عناية كبيرة بالصناعات المختلفة داخل الإمبراطورية.

في عهد جنكيز خان كان من الضروري الاهتمام بصناعة الأقواس والسهام فجلب لها جنكيز خان الصناع المهرة من القبائل المجاورة، فيروى أن شخصًا من طائفة التانجوت[١٣] اشتهر بصنعة الأقواس والسهام فارتفع شأنه عند چنگيزخان، ونظرًا لما كان يتمتع به هذا الشخص من عز وجاه، كان كثيرًا ما يردد هذا السؤال في تيه وفخار: « ماذا يفيد شخص عالم أديب مثل: بي ليو چوتساي، قومًا لا[١٤] يعنيهم سوى القتال وقيادة الجيوش؟! فلما وصل هذا الكلام إلى سمع بي ليو چوتساي[١٥]، قال لمخاطبه: «أجل إن الدولة تتطلب أستاذًا ماهرًا في الأقواس والسهام، ولكن من الضروري لها أيضًا وجود علماء لهم خبرة الإدارة الممالك». فلما بلغ چنگيزخان ما قاله مستشاره سُر منه، وزاد في إعزازه وتكريمه.

في عهد أوكتاي خان أولى عناية كبيرة بالصناعات عمومًا وبالأخص صناعة الأسلحة، وذلك بسبب كثرة الحملات[١٦] العسكرية التي كانت تقتضي ذلك. وكانت صناعة الأسلحة في عهده تقوم في العديد من المدن مثل قراقورم ونوفجورد وتبريز وكانتون[١٧]، وكان الصناع والحرفيون يقومون بهذه الصناعة، وهم من جُلبوا من الأقاليم التي استولى عليها المغول؛ حيث اقتبس المغول المنجانيق من الصين، وكانت السيوف والمنجنيقات تُصنع من النحاس والحديد، بينما تُصنع الكرات الملتهبة من الحديد فقط[١٨]. وتم إدخال صناعته في جميع أنحاء الإمبراطورية المغولية.

وإن من أشهر صناع المعادن من الجاليات وهو من العلماء ذوو المرتبة الرفيعة في مملكة جغتاي[١٩] في مجال الصناعة، الشيخ يوسف بن أبي بكر الخوارزمي الملقب "سراج الدين السكاكي"[٢٠] المتوفي (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، الذي كان[٢١]

يحترف صناعة المعادن بجانب الاشتغال بالعلم، وكان سراج الدين السكاكي له خبرة في مجال الصيد تلك الرياضة التي توفر الغذاء للمغول؛ لذلك أعطاه "جغتاي" المرتبة الفضلي في مجالسه.

وعرفت الإمبراطورية أنواعًا أخرى من الصناعات المعدنية مثل السكاكين والشمعدانات وكانت تتميز بالدقة والأناقة، بل ظهرت مدارس متخصصة في بلاد فارس لتعليم هذه الصناعة، التي راجت، وأصبحت لها أسواق خاصة تعرف بها هذه في الموصل وأردبيل وكانتون.

وكذلك ازدهرت صناعة الفخار والخزف داخل أقاليم الإمبراطورية وأحرزت في هذا المجال تقدمًا كبيرًا خاصة في تبريز وفلديمير وموسكو وشيكيانج وكان جزءًا كبيرًا منها يصدر خارج أراضي الإمبراطورية وخاصة الخزف الأخضر والأزرق، وكان الغالب في هذه الصناعة السحنة المغولية الذي ترسم فيها العيون أكثر اتساعًا(٢٢).

كما اختصت بعض مناطق الإمبراطورية بصناعة المنسوجات الصوفية، خاصة وأن المادة الخام كانت متوفرة داخل الإمبراطورية، وقد تنافس المغول بعد احتكاكهم بالحضارات على التفنن في اقتناء الملابس المصنوعة من الصوف والحرير التي كانت تتميز بالدقة في الرسم والتصميم(٢٣).

والجاليات الأجنبية الذين جاؤوا إلى الإمبراطورية المغولية في القرن الثاني والثالث عشر كان لها دور هام في تطوير الصناعات وزيادة الإنتاجية في الممالك المغولية. فقد كانت هذه الجاليات تتمتع بخبرات ومهارات متنوعة في مجالات مختلفة مثل العلوم والفنون والصناعات الحرفية والزراعة وغيرها.

إحدى الصناعات التي ازدهرت نتيجة انصهار هذه الجاليات الحرفية داخل المجتمع في القرن الثاني والثالث عشر الميلادي هي صناعة النسيج. فقد قامت الجاليات

الإسلامية، وخصوصًا الجالية الفارسية، بتطوير صناعة النسيج في الممالك المغولية، وقد قدموا تقنيات جديدة في صناعة القماش والأقمشة الفاخرة، وتم تبادل هذه المعارف والخبرات مع السكان المحليين، مما ساعد في تحسين صناعة النسيج في الممالك المغولية. وكانت هناك صناعات أخرى أيضًا، مثل صناعة الفخار؛ حيث قامت الجاليات الإسلامية بتطوير هذه الصناعة في الممالك المغولية، وقد قدموا تقنيات جديدة في صناعة الأواني الفخارية والأدوات المنزلية، وتم تبادل هذه المعارف والخبرات أيضًا مع السكان المحليين.

وكذلك، فإن الجاليات الإسلامية قدمت طرق جديدة في صناعة الزجاج في الممالك المغولية؛ حيث تم العمل على إتقان الرسم على الزجاج وزيادة جودته، وكانت أساليبهم في صناعة الزجاج تُعتبر متقدمة في ذلك الوقت، وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الجاليات قامت بتطوير الأدوات بالخاصة بالزراعة والتي لم يكن للمغول أدنى معرفة بها؛ حيث قاموا بإحداث أدوات زراعية جديدة على بعض الممالك المغولية مما ساعد في زيادة إنتاج وجودة المحاصيل الزراعية وتنوعها.

ويمكن القول أن الجاليات الأجنبية في عهد المغول قدمت العديد من العلوم والفنون والخبرات في مختلف المجالات، وساهمت في تطوير الصناعات الموجودة في الممالك المغولية وإدخال صناعات جديدة، وهذا ساعد في تحسين مستوى المعيشة وتوفير أسلوب حياة أفضل داخل تلك الممالك في هذه الفترة.

أهم التأثيرات للجاليات الأجنبية في التجارة:

لقد استفاد المغول كثيرًا من الوافدين على مجتمعاتهم ممن امتهنوا التجارة، فنجد أنهم اعتمدوا على النظام الصيني الذي يُعد أكثر حضارة من أجل النهوض بالدولة المغولية تجاريًا، فتظهر لنا شخصية "بي ليوجوتساي" الخطائي الذي استخدم خبرته في المجال التجاري وفرض الضرائب على الأرض والمكوس على المتاجر، وهو ما عاد بالفائدة على الخزينة؛ حيث إنه في كل سنة حصلت الدولة على نحو ٥٠٠ ألف أوقية

الفضة، و٨٠ ألف ثوب حرير، و٤٠٠ ألف غرارة من الحبوب. ومارست الجاليات الأجنبية العديد من المهن التجارية، بل كان بعض منهم من العلماء تجارًا يكسبون جزءًا من معيشتهم من التجارة، وذكر أن محمود يلواج الخوارزمي، حاكم "خان بالق"، وابنه " مسعود بك" حاكم آسيا الوسطى مارسا التجارة والحكم طوال حياتهما، وأنفقا منها على إنشاء المدارس والمساجد والعلماء[٢٤].

كما استفاد جنكيز خان من التجار المسلمين فيما أحرزوه من انتصارات في حملاتهم[٢٥] المختلفة، وأيضًا فيما أدخله المُسلمون في منغوليا فوق الأنهار والبحيرات من مشروعات لري الأراضي. يُضاف إلى ذلك ما أحرزه التجار المُسلمون في منغوليا من نجاح في معاملاتهم التجارية. وفيما إنشاؤه فيما بعد من مدارس وخانات. واستفاد جنكيزخان من بي ليوجوتساي في الوقوف على الحضارة الصينية، كما أفاد من الأيغوريين في التعرف إلى ما كان سائدًا في أورخود وتورفان من حضارة تركية قديمة.

وجدير بنا أن نذكر أن التجار المسلمين قد لعبوا دورًا كبيرًا في دخول الإسلام في روسيا؛ حيث إن هذه المنطقة الجنوبية كانت قريبة من الطرق التجارية بين الشرق والغرب، وكان للمسلمين دور كبير في هذه التجارة؛ وذلك لأن التجارة والتجار من العوامل الهامة والرئيسية في انتشار الإسلام في العالم وليس في روسيا فقط.

أما باتو خان[٢٦] أحاط نفسه بالمستشارين المسلمين، كما عهد بمهمة تحصيل الضرائب إلى التجار المسلمين لمعرفتهم الكافية بهذه الوظيفة، هذا رغم أن باتو كان وثنيًا على ديانة آبائه المعروفة بالشامانية.

وهذا يرجع إلى وجود مغول القبجاق بين البلغار المسلمين من الشمال والمسلمين في بلاد خوارزم من الجنوب، خاصة وأن البلغار كانوا على الفولجا

وقريبين من سراي العاصمة المغولية، ومن ناحية أخرى أن عرش القبيلة لم يعتليه خانات غير مسلمين فيما بعد إلا نادرًا، وكان نشر الإسلام هو هدف الخانات الأمثل.

أما عن الأثر التجاري للجاليات الأجنبية في مملكة جغتاي، فقد كانت أشهر مدنها "بخارى، وسمرقند، ونيسابور" وهي أهم مراكز الشرق ثقافيًا[٢٧] وتجاريًا؛ لوقوعها على خطوط التجارة العالمية، وكونها مراكز لنقل المنتجات الصينية إلى غرب آسيا، وكانت القوافل التجارية تأتي إليها، وحققت ازدهارًا ماديًا من خلال دورها في حركة الصادرات، وعندما فقدت تلك المدن مكانتها التجارية اختط علماء الجاليات لجغتاي ابن جنكيزخان الماليق Almelech "مركزًا للنشاط "الجغتاني" في آسيا الوسطى، وكانت تلك المدينة لعبت دورها الكبير الأهمية باعتبارها محطة وسطى بين غرب آسيا، والشرق الأقصى[٢٨]، فكان التجار المسلمون الذاهبون إلى الصين يتقابلون عندها مع الأوربيين الذين يقومون بالرحلة نفسها أو يُقيمون هناك بعض الوقت.

تأثيرات الجاليات الأجنبية على الفنون والعمارة:

في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي بعد غزو المغول وقدوم الكثير من النساجين الصينيين إلى إيران، وأيضًا نمو جاليات إسلامية في الصين حين إذن، والتي اشتغلت بنسج الأقمشة الحريرية التي كانت تصدر إلى أنحاء الشرق الإسلامي، ونتيجة لذلك أقبل النساجون الإيرانيون على استعمال الموضوعات الزخرفية الصينية كالتنين والعنقاء، وما إلى ذلك[٢٩][٣٠].

وأيضًا أن الكثير من المصورين الصينيين قدموا إلى إيران في عهد هولاكو[٣١] وأولجايتو[٣٢]، كما انتشرت في دولتهم الكتب الموضحة للصور الصينية. والحق أن هولاكو وخلفائه كانوا يشملون رجال الفن برعايتهم، ويُرى تأثير هؤلاء الفنانين واضحًا في الرسوم النباتية والأزهار؛ حيث ظهر التأثير واضحًا في نهاية القرن السابع

الهجري في أن تكون صورًا دقيقة من الطبيعة. أما الصور الشخصية كان يُرجع فيها إلى سلاطين المغول الذين نهجوا نهج آبائهم كانت على يد فنانين من أهل الصين والذين نقلوا هذا الفن إلى المجتمعات التي أقاموا بها[٣٣].

وقد انتشرت الأساليب الفنية والزخارف الإيرانية في فنون الشرق الأقصى، ولا سيما منذ القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي في صناعة الخزف والنسيج وصناعة المعادن، وكان الصينيين يعجبون بمهارة الإيرانيين فى صناعة السجاد[٣٤].

أما عن العمارة أدخلت الجاليات الصينية ولا سيما علمائهم تغيرات بارزة بالعمارة والبناء. فلم يبخل علماءهم بجهدهم ولا بفكرهم على إمبراطورية المغول، وكان أول اهتمامات بي ليوجوتساي إنشاء البيوت الخاصة باستقبال الوافدين خاصة الذين يستدعون لأمر من أمور الإمبراطورية، وهذا كله من أجل العمران والاستقرار. وهذا كله من أجل تغيير الواقع السيء الغير مرضي عنه، فقد جرت العادة قبل تغييرات بي ليو باستقبال ضباط المغول للضيوف الوافدين عليهم، و لم يقتصر عمل بي ليوجوتساي على ذلك فقد استطاع أيضًا في تمويل وتدبير الموارد من أجل العمران وأولى اهتماماته أيضًا ببناء المنازل لموظفي الإدارة وللمحال والأسواق، وقد[٣٥] استطاع بي ليوجوتساي بذلك تحقيق نجاح كبير في إقناع المغول بتحويل حياتهم بهذه الصورة وانتهاج حياة المدينة؛ وهذا لأن المغول الذين قضوا حياتهم وتاريخهم بأكمله فوق ظهور الجياد كانوا يخشون ويزدرون البيوت ففي نظرتهم للأمور جرى التقليد المغولي بأن الأماكن الثابتة للاستقرار إنما هي للموتى فقط. فالمنازل تربط الناس بها أما الخيام فلا تفعل ذلك؛ إذ بالإمكان نصب الخيمة في أي موضع يأخذ الجواد والهوى صاحبه المغولي إليه في حين لا يمكن طي وحمل المنزل ونقله بعيدًا.

أما عن التأثير الصيني في العمارة فنرى ذلك واضحًا في إحدى أبواب بغداد، وهو باب يعرف باسم (باب الطلثم) يرجع إلى عصر الخليفة العباسي الناصر (٥٧٥: ٦٢٢هـ، ١١٨٠: ١٢٢٥م)، وفوق عقد هذا الباب نقش بارز يُمثل رجلاً جالسًا قابضًا بيديه على لساني تنينين مجنحين.

التأثيرات الاجتماعية للجاليات الأجنبية على المجتمع المغولي:

كان المجتمع المغولي في بدايته يقوم على الطبقية فقسمت القبيلة إلى ثلاث طبقات كالآتي:

- طبقة النبلاء: ولقبو بألقاب (بهادر) وتعني الباسل وتوبان أي النبيل وكانت تتألف من الأسر النبيلة التي كانت تحتل المناصب الحكومية العليا في المجتمع المغولي، وكان لهم ألقاب تدل على شجاعتهم ونبلهم. كما أنهم كانوا يتمتعون بحقوق وامتيازات خاصة، وكانوا يحظون بمكانة اجتماعية عالية.
- طبقة الأحرار: تسمي نوكور فكانت تتألف من المحاربين والموالين لجنكيز خان، وارتكز عليهم النظام السياسي والعسكري، وكانوا يؤلفون طبقة العسكرية الأساسية في المجتمع المغولي. وكان لهم مكانة عالية، وكانوا يتمتعون بحرية شديدة في الحياة، وكانوا يعملون في الجيش ويُشاركون في الفتوحات العسكرية.
- طبقة العامة أو الأرقاء: فكانت تشكلها الرعاة والفلاحون والحرفيون والتجار، وكانوا يُشكلون طبقة الشعب العادي في المجتمع المغولي. وكانوا يُعانون من ظروف صعبة في الحياة، وكانوا يعملون بجد لتأمين لقمة عيشهم، وكانوا يُشكلون الغالبية العظمى من سكان المجتمع المغولي. أما بعد غزوات المغول للأقاليم المجاورة، وانضمام الجاليات المختلفة إليهم فقد تغير التشكيل الطبقي لهذه القبائل، وأصبحت متعددة الثقافات بل وتداخل بعض من أفراد الجاليات.

فالعلاقة بين هذه الطبقات كانت معقدة في بعض الأحيان، وكانت تختلف باختلاف الفترات الزمنية والمناطق الجغرافية التي كانت تحكمها الإمبراطورية المغولية.

ولكن بشكل عام، فإن كل طبقة كانت تلعب دورًا محوريًا في المجتمع المغولي، وكان لها مكانة مهمة في الحياة الاجتماعية والسياسية للإمبراطورية. ففي فترة القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي، حاولت الجاليات النصرانية بشتى الوسائل تنصير المغول[٣٦] وجعلهم يتحولون إلى المسيحية، كمحاولة منهم لضمان أماكنهم داخل المجتمع المغولي، وكانت إحدى هذه الوسائل هي تزويج أميراتهم للحكام المغول. فهناك بعض الأميرات النصرانيات اللاتي تم تزويجهم لحكام المغول، وربما كان الهدف من ذلك هو تأمين مكانة أفضل للنصرانية في المجتمع المغولي والحصول على نفوذ أكبر على حكام المغول. ومن الجدير بالذكر أن هناك بعض الأحداث التاريخية التي تُشير إلى وجود علاقات بين النصارى والمغول على مدى فترة طويلة، وقد تزوجت الأميرة النصرانية "توركينا خاتون" من الخان المغولي "هولاكو خان" في القرن الثالث عشر. وهذا وليس فقط فيما يتعلق بالأميرات. ولا يُمكن الحكم على هذه الأحداث بشكل نهائي إلا بالاستناد إلى المصادر التاريخية والأدلة الدقيقة.

كان من ضمن البلاط المغولي مواطن باريسي اسمه وليم يوشير يشتغل بصناعة الحلي. أصبح من أقرب الناس عند مونكو، وكان قد تزوج من هنغارية تُجيد حديث الفرنسية والكومانية.

أما عن الملابس التي كان يرتديها المغول، فإنها كانت بسيطة للغاية تتناسب مع حياتهم البدوية، وكانوا يصنعونها من أصواف الغنم ووبر الجمال، وأحيانًا[٣٧] من جلود الحيوان، وتكاد ملابس النساء تشبه ملابس الرجال. ومن عاداتهم عدم استبدال ملابسهم إلا مرة واحدة كل شهر، وفي فصل الشتاء لا يغيرونها أبدًا ونادرًا ما كانوا يستحمون، لذلك اتصفوا بالقذارة والنتونة والنجاسة، ومما يذكر عنهم أنهم كانوا إذا مروا بمكان فإن رائحتهم تلتصق به حتى مدة طويلة. أما بعد اتصالهم بالصينيين والمسلمين أو عن طريق غزواتهم فتأثروا بأفرادها بعد أن تعايشوا معهم

فأخذوا منهم أسلوب حياتهم وتغيرت ملابسهم عما كانت عليه من قبل، تم هذا التحول بعد تأسيس إمبراطوريتهم وخروجهم من أرضهم الجرداء. وذُكر أنهم ارتدوا الحرير والفراء الثمينة[٣٨] تقليدًا لهم، وتتزين نساؤهم بالحلي ويهتمون بنظافتهم وهندامهم، كما يفعل أباطرة الصين وملوكهم، ولكن كان ذلك في القرن الثالث عشر الميلادي بعد أن أصبحوا سادة وصاروا يستوردون ملابسهم من الصين وفارس، والفراء الثمين من روسيا وغيرها من البلاد الأوروبية.

تأثيرات الجاليات المغولية على اللغة:

نتيجة امتزاج حضارتين قديمتين هما الحضارتان الصينية والفارسية، فحدث اتصال مباشر بين هاتين الأمتين اللتين كانت لكل منهما حضارة زاهرة وقديمة في ظل الدولة المغولية الموحدة، وانتقلت المعارف والعلوم بينهما وبدأت عهد نفوذ الحضارة الصينية في إيران وغيرها من بلاد الإسلام، وفي أوروربا على يد المسلمين، ونفوذ الحضارة الفارسية والإسلامية في الصين، فانتشرت اللغة الفارسية في الصين وانتشرت الكثير من العادات الفارسية والمعارف الإسلامية بين الصينيين، كما تعرف عدد من أهل الأدب والعلم في إيران والبلاد الإسلامية على التقاليد البوذية واللغتين الصينية والمغولية ومعارفهما، فاستفاد نصير الدين الطوسي من معارف المنجمين الصينيين في إنشائه لمرصد مراغة، كما أخذ المؤرخون الفرس من أمثال رشيد الدين فضل الله وفخر البناكتي وحمدالله المستوفي عن العلماء الصينيين والمغول والأويغور المقيمين في البلاط الإيلخاني كثيرًا من الأخبار والمعلومات القيمة، واستفادت جماعة منهم من الكتب العلمية والتاريخية الصينية مباشرة، وكان الصينيين والمغول أشهر ما يكون في مجال التصوير وبعض الفنون الأخرى التي ازدهرت في عصر الاحتلال المغولي في ممالك غرب آسيا[٣٩] وهكذا اتخذ أسلوبًا جديدًا بعد انتقاله من الأويغور[٤٠] والمغول إلى الصين، وكان هو طراز التصوير نفسه الذي عاد إلى إيران في عهد الإيلخانات على أيدي الفنانين الصينيين واشتهر باسم (الطراز الصيني).

ومن خلال العرض السابق لتأثيرات الجاليات الأجنبية داخل المجتمعات المغولية في محاولة لتوضيح دور تلك الجاليات وتأثيراتها وهو ما يحدث غالبًا في معظم المجتمعات نتيجة انصهار العناصر المختلفة الوافدة عليها واختلاط الأجناس والثقافات، وهو ما تناوله أغلب المؤرخين كتأثر بالمجتمعات والأباطرة والعلاقات السياسية دون النظر أو إرجاع هذه التغيرات إلى النواة الأساسية للمجتمعات، وهي الأفراد متمثلين في مهنهم وثقافاتهم المختلفة، وهذا ما تناولته في الرسالة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر العربية والفارسية المعربة:

١- ابن بطوطة (ت: ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م))، شمس الدين أبو محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي: رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب وعجائب الأسفار، المجلد الثاني، الجزء الرابع، قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه/ عبد الهادي التازي، الناشر/ أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢- ابن الفوطي (ت: ٧٢٣ه/ ١٢٤٤م)،كمال الدين أبو الفضل: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في أعيان المائة السابعة ، تحقيق: مهدي النجم ، دار الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ه/٢٠٠٣م.

٣- الجويني (ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد: تاريخ فاتح العالم (جهان كشاي)، المجلد الأول، تحقيق وحواشي وتعليقات/ محمد بن عبد الوهاب القزويني، نقله عن الفارسية وقدم له/ محمد السعيد جمال الدين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولي، ٢٠١٥م.

٤- ماركو بولو: رحلات مارك بولو ، ج١ ، ترجمة: عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ١٩٧٧.

٥- رشيد الدين فضل الله الهمذاني: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان، دار

النهضة العربية، بيروت

ثانيًا: المراجع العربية والفارسية المعربة:

٦- أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج٢، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت، ١٩٥٧م.

٧- إدوارد بروي وآخرون: تاريخ الحضارات العام (القرون الوسطي)، المجلد الثالث، إشراف/ موريس كروزيه، نقله إلي العربية/ يوسف أسعد داغر، فريد داغر، منشورات عويدات ، بيروت، باريس، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

٨- إسماعيل عبد العزيز الخالدي: العالم الإسلامي والغزو المغولي، الناشر/ مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٩- آمال سليمان الزوي: الإمبراطورية المغولية في عهد أوكتاي، مكتبة الفضيل، بني غازي، ليبيا، ٢٠١١م.

١٠- إيناس محمد البغيدي: تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية، مركز الكتاب الاكاديمي، ٢٠٠٧.

١١- حافظ حمدى: الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٩م.

١٢- زكي محمد حسن: الصين وفنون الإسلام ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨١م .

١٣- زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، القاهرة، ١٩٤٦م.

١٤- زكي محمد حسن: كنوز الفاطميين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٧م.

١٥- ستيفن رنشيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ترجمة: نور الدين خليل، الأسكندرية، ١٩٩٨م.

١٦- سعاد هادي حسن: الأويغور، دراسة في أصولهم التاريخية وأحوالهم العامة،

ط٢، مكتبة عدنان، ٢٠١٦م.

١٧- السيد الباز العريني: المغول، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٧م.

١٨- فاسيلي فلاديميروفتش بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، نقل عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ، الطبعة الأولى ، الكويت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٩- ف. هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي، الجزء الثاني، ترجمة/ أحمد رضا محمد رضا، مراجعة د/ عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م.

٢٠- رينية غروسية، جنكيزخان قاهر العالم، ترجمة: خالد أسعد عيسى، تقديم: سوهيل زكار، دار حسان، دمشق، ١٩٨٢م.

٢١- عبد السلام عبد العزيز فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران، الناشر دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

٢٢- فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.

٢٣- ماهر سعاد: النسيج الإسلامي، الجهاز المركزي للكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٧٧م.

٢٤- محمود سعيد عمران: تاريخ المغول وأوروبا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، بدون تاريخ.

ثالثًا: الرسائل العلمية والبحوث والدوريات:

٢٥- صبري عبد اللطيف سليم: المجتمع المغولي في عصر الاباطرة العظام من جينكيز خان إلى قوبيلاي خان رساله ماجستير، جامعة القاهرة، كليه العلوم، ١٩٨٩.

٢٦- عيساني شفيقة: شبه القارة الهندية وبلاد الصين من خلال الرحالة و الجغرافيين المسلمين الفترة ما بين القرن الثالث إلى الثامن الهجري من ٩ إلي ١٤ م، رسالة ماجستير من جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية،

٢٠١٧م.
٢٧- منصور أحمد سالم صوفي: الأوضاع الدينية في الشام في العهد المملوكي ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

رابعًا: المراجع الأجنبية:

٢٨- Russabi, Morris, Khubilai Khan, his life and times, unverisity of California press, ltd, londen,1988

الهوامش والإحالات

(١) النهر الأصفر من سلاسل الجبال الغربية مخترقًا سهلًا من اللويس، وهو ثاني أجطول الأنهار في الصين. رحلة ابن بطوطة، أكاداديمية المملكة الغربية.

(٢) عيساني شفيقة: شبه القارة الهندية وبلاد الصين من خلال الرحالة الجغرافيين المسلمين، ص٨٣.

(٣) ولد في الصين الشمالية، حوالي ٥٨٦هـ ١١٩٠م، وهو ينحدر من أسرة لياو؛ تعود أصوله إلى قبيلة الخطأ التركية، ولذلك أطلق عليه الخطائي الصيني، وتوفي ٦٤٠هـ ١٢٤٣م. السيد الباز العريني: المغول، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٧م، ص١٥٥.

(٤) حافظ حمدى: الدولة الخوارزمية والمغول، ص١٤٩. زكي حسن: الصين وفنون الإسلام، ص٢٣، ٢٤ .

(٥) هو الابن الثالث لجنكيز خان، وزوجته بورأقجين من قبيلة قونقرأت، اشتهر بالعقل والكفاءة وسداد الرأي. فؤاد الصياد: المغول في التاريخ، ص١٦٣.

(٦) رينية غروسية، جنكيزخان قاهر العالم، ترجمة: خالد أسعد عيسى، تقديم: سوهيل زكار، دار حسان، دمشق، ١٩٨٢م، ص٢٥٩.

(٧) ابن الفوطي: كمال الدين أبو الفضل، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في اعيان المائة السابعة، تحقيق مصطفي جواد (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) ص٣٣٩.

(8) Russabi, Morris, Khubilai Khan, P- 120.

(9) RUSSABI, MORRIS, KHUBILAI KHAN, P- 120.

(١٠) رحلات ماركوبولو، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧.

(11) RUSSABI, MORRIS,KHUBILAI KHAN, P- 119.

(١٢) صبري عبداللطيف سليم، المجتمع المغولي في عهد الخانات العظام، ص٦٧.

(١٣) من المغول، ويسكنون على جنوبي مانغوليا، وكانوا يقيمون جنوبي قبيلة قيات، وإلى الشرق منهم كانت تقع قبيلة التتار وسور الصين العظيم، وكان التركيب السكاني لهذه البلاد يتمثل في أغلبية وثنية، من عباد الأصنام، وبعض الترك مع قليل من الأساطرة والمسلمين. بـــروكلمن: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٣٨٧. ستيفن رنشيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ترجمـــة: نور الدين خليل، الأسكندرية، ١٩٩٨م، ص٤١٨.

(١٤) فؤاد الصياد، المغول في التاريخ، ص١٥٦.

(١٥) الجملة عائدة على يوليوجوستاي.

(١٦) آمال سليمان الزوي، الإمبراطورية المغولية في عهد أوكتاي، ص١٦٨.

(١٧) مدينة كانتون: أو خانفوا تقع شمال جنوب الصين وهي أول المدن الصينية التي وصل إليها المسلمون، وتُعتبر من الموانئ الصينية المهمة. محمد ذكي: المسلمون في العالم، ص ٨٧.

(١٨) إدوارد بروي: تاريخ الحضارات العام (القرون الوسطى)، ج٣، ترجمة: يوسف أسعد داغر، وفريد داغر، منشورات عويدات، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص٣٧٩.

(١٩) تنسب الدولة الجغتائية إلى مؤسسها جغتاي الابن الثاني لجنكيزخان الذي أصبح ولي عهده بعد وفاة أخيه الأكبر جوجي في حياة والدهما، فلما مات جنكيز خان في سنة (٦٢٤هـــ – ١٢٢٧م) آلت إلى جغتاي أملاك الدولة الجغتائية. ويعد جغتاي مؤسس هذه الدولة منذ وفاة والده عام (٦٢٤هـــ – ١٢٢٧م) إلى عام (٦٣٩هـــ – ١٢٤٢م)، وكان رجـــلا حازمـــا وصارما وعنيدا، وذلك لأنه كان المسئول عن تنفيذ الياسا، وقد اشتهر بسوء معاملة المسلمين، وتعطشه لسفك دمائهم. موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ص٩: ١٤.

(٢٠) هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، ولد سنة ٥٥٥هـــ ١١٦٩م في خوارزم، وتوفي في قرية الكندي من قـــرى المـــاليع في ســـنة ٥٦٢٦، ١٢٢٩م.

(٢١) فاسيلي فلاديميروفتش بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، من المتـــرجم، تاريخ وحكاية، ط، ص٦٦٣ .

(٢٢) حسن، زكي محمد، الصين وفنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١، ص ٢٢.

(٢٣) ماهر، سعاد: النسيج الإسلامي – الجهاز المركزي للكتاب الجامعي (القاهرة، ١٩٧٧م) ص ١٠٤-١٠٦.

(٢٤) منصور أحمد سالم صوفي، الأوضاع الدينية في الشام في العهد المملوكي، ص٧٥.

(٢٥) إيناس محمد البغيدي، تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية، مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠٠٧، ص٩٦.

(٢٦) هو الابن الثاني لجوجي خان، وكان رفيع المنزلة، واسع النفوذ، وهو حاكم القبيلة الذهبية.

(٢٧) الجويني: تاريخ جهانكشاي، المجلد الأول، ص٢٤٨، أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج١، ص٢٨٠.

(٢٨) ف. هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأوسط، ج٣، ص٩٢، ٩٣.

(٢٩) حسن زكي محمد: الصين وفنون الإسلام، ص٦٢، ٦٣.

(٣٠) حسن زكي محمد: كنوز الفاطميين، انظر ص ١٥٦، ١٧٢، وأيضًا الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، ص١٦٦.

(٣١) ابن الإمبراطور تولوي بن جنكيز خان، وأمه سرغاغتاني بكي، وهو شقيق منكو خان وقوبلاي خان وإريك بوكا، ولد في عام ١٢١٧م. رشيد الدين فضل الله الهمذاني: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان، دار النهضة العربية، بيروت، ص١٠٧. فؤاد الصياد: المغول في التاريخ، ص٢٥٦.

(٣٢) أولجايتو بن أرغون ثامن المغول الإيلخانيين في إيران، ولد في الثاني عشر من ذي الحجة سنة ٦٨٠هـ ١٢٨٢م، ولما كانت ولادته في صحراء قاحلة بإقليم خراسان في المنطقة ما بين سرخس ومرو، في يوم أمطرت بغزارة فأسماه المغول في اختيار اسم فبيح لأطفالهم الذين يتوسمون فيهم الصحة والجمال، فقد اختاروا فيما بعد اسم نمودر بمعنى جهنمي، ثم اختاروا له اسم خريندة وهي كلمة فارسية مركبة من خبر بمعنى التمار، وبنده بمعنى غلام أو عبد والمراد المكاري.

(٣٣) رحلة ابن بطوطة: الجزء الرابع، ص٢٦٣.

(٣٤) ف. هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأوسط، ج٣، ص٩٤، ٩٥.

(٣٥) محمود سعيد عمران: تاريخ المغول وأوروبا، ص٣١٩.

(٣٦) إسماعيل عبدالعزيز الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي. ط١، ١٩٨٤م، ص٢٩,١٨٨.

(37) **Howorth: History Of The Mangils. Iv.P 49,50.**

(٣٨) عبدالسلام عبدالعزيز فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، ١٩٨١، ص٢١، ٢٢.

(٣٩) المرجع نفسه، ص ٥٣٨، ٥٣٩.

(٤٠) هم جنس من الأتراك، وطائفة كبيرة، وقد بلغ عدد قبائلهم عشرة، وانقسموا إلى أويغور شرقيين، وأويغور غربيين، وهم من سكان تركستان، في جبال التاي. سعاد هادي حسن: الأويغور، دراسة في أصولهم التاريخية وأحوالهم العامة، ط٢، مكتبة عدنان، ٢٠١٦م.